### دراما الأزمة في ظل الحرب

# بلال شحادات لـ«الوطن»: الدراما السورية أضاعت البوصلة!

## حين يحمل الفن سلاحاً كما الجندي المقاتل!

محمد قاسم الساس

إذا افترضنا أن الدراما فن إنساني يدعو إلى السلام، فإنها على العكس فيما يخص الدراما السورية ومعالجتها للحرب.

إنّ فن الدراما يعالج سلوكيات البشر ضمن حكايات فيها أحداث وأبطال كي يطرح على الجمهور أسئلة تستفزه نحو التغيير من أجل تحقيق أعلى قيمة من الإنسانية، أو يقدم له حلولاً تنفعه في تطوير العلاقات بين أفراده، لكننا لو اتخذنا موقع المراقب الخارجي لكل الأعمال الدرامية التي انتشرت منذ بداية الحرب في سورية وحتى يومنا هذا، لوجدناها أعمالاً مسيسة تقف مع طرف ضد الآخر وكأنها جندي يحمل السلاح على الجبهة ضد عدوه. مع العلم أن هذا الاستنتاج يستثني الجماعات الظلامية الإرهابية التي لا تستحق أن تندرج ضمن قائمة البشر أصلاً.

> كل الأعمال التي كان بطلها الحرب أثبتت فشلها

ولحصر أعمال الدراما السورية التي عالجت الحرب التقت «الوطن» الناقد والسيناريست «بلال شحادات»، الذي يرى من وجهة نظره عدم نضج أي تجربة درامية عالجت الحرب في سورية على مدى أعوام، باعتبار أن الحرب في سورية لم تنته بعد، ومهما حاولت الدراما تغطية ما يجري فإنها ستبقى قاصرة ما دامت الحرب مشتعلة بين الأطراف المحلية والدولية. قائلاً: «نحن في حاجة ماسّة إلى عدة سنوات بعد انتهاء هذه الحرب حتى نستطيع تحليل ونقد تجربة الحرب درامياً إن كنا نهدف إلى تقديم دراما صادقة تستطيع تقديم ظاهرة الحرب ضمن رؤية إيجابية لا تأجيج فيها لطرف ضد آخر».

وأضاف: «بناءً على ما تم إنتاجه من دراما بالتزامن مع سنوات الحرب وتطورها وانقلاباتها وكل المتغيرات التي طرأت عليها فالنتيجة القاسية التي يمكننا ملاحظتها هي الشيزوفرينيا الدرامية (الانفصام الدرامي في المعالجة والرؤية والمقولة) التي قسّمت الجمهور وقسّمت الحكايات وقسّمت الممثلين، وقسّمت حتى جهات الإنتاج والتوزيع، إلا ما ندر منها.

هذا الانقسام أعطى فرزاً علنياً لكل من يعمل في الدراما السورية، وللجمهور أيضاً، حيث صار هناك دراما المعارضة ودراما التأييد ودراما عدم الانحياز – أو الاعتراف بأي طرف آخر، وفوق ذلك تحويله من دون سابق إنذار إلى عدو شرير لا سبيل إلى القبول به نهائياً. فوق هذا كله فشلت الدراما السورية في معالجة ظروف مجموع الحواس، وليس على مجرد السماع، وتخاطب الإنسان كله، وتستهدف المتعة والإثارة والتعليم في وقت واحد».

الأعمال الدرامية ليست فقط أداة للترفيه والإمتاع والتسلية والتثقيف، إنما هي أداة لتوجيه الرأي العام، الذي يعرف على أنه «الرأي السائد بين أغلبية الشعب الواعية في فترة معينة بالنسبة لقضية أو أكثر يحتدم فيها الجدل والنقاش، وتمس مصالح هذه الأغلبية أو قيمها الإنسانية الأساسية مساً مباشراً».

فأين تكمن المشكلة؟ لماذا لا نرى البديل الهادف للدراما السورية الحالية؟

يجيب شحادات: «يرجع إخفاق الدراما إلى عجزها في تقديم مشروع درامي قادر على جذب كل الأطراف من أجل متابعة تثير المتعة وتكون موضوعية تنتهي بتقديم مقولة تفيد في البحث عن حلول أو المبادرة بإرساء سلام (ولو على مستوى الدراما فقط)، لأن ذلك من شأنه أن يثير في الجمهور التفكير في الأخطاء التي ارتكبها عَلّه يبادر من أجل سلام فعلي ينهي تلك الحرب».

وأضاف: «انشغال كل فصيل من فصائل الدراما التي ذكرتها سابقاً بتقديم المسوغات لأبطالها كي يفعلوا ما يخدم مصالح جهة التمويل السياسية أو يحقق أهداف هذه الشريحة من الجمهور الذي يتابعها من دون الاعتراف بأي طرف آخر، وفوق ذلك تحويله من دون سابق إنذار إلى عدو شرير لا سبيل إلى القبول به نهائياً. وبؤكد بلال شحادات أن كل الأعمال الدرامية التي كان بطلها الرئيسي في الحكاية هو الحرب أثبتت فشلها في المعالجة الموضوعية والإنسانية لما جرى على أرض الواقع، قائلاً: «يا ليتها لم تكتب ولم تنتج ولم تعرض على الجمهور، لأنها ساهمت أكثر في انفصام الجمهور بين مؤيد ومعارض، وهذا أكبر إخفاق يمكن للدراما أن تصل إليه.

> عندما نتوقف عن تصوير أنفسنا كالملاك والآخر كالشيطان تتوازن الحكاية

الحرب لم تنته بعد، وطالما أنها ما زالت مشتعلة فلا دراما قادرة على معالجتها مهما كانت موضوعية. وأكبر عيب يمكن أن تتهم به الدراما هو أنها قسمت الحكاية إلى حكايتين والجمهور إلى جمهورين والمعالجة الدرامية إلى معالجتين. وهذا يجعل منها دراما غبية ليست من الذكاء بمكان كي تجذب كل دراما جمهور الطرف الآخر وتجبره على المتابعة نتيجة مصداقيتها وتقنعه بفحوى قضيتها العادلة. لذا يمكننا القول بأن الدراما شاركت في الحرب بدلاً من معالجتها وانقسمت مع أطراف ضد أطراف ما جعلها عارية عن الموضوعية وغير جاذبة لمن يعارضونها».

حين تتوقف الدراما السورية عن تصوير الطرف الذي تدافع عنه بأنه ملاك طاهر، نجدها في أحيان أخرى حين تصور الطرف الآخر الذي تصارعه بأنه شيطان رجيم، عندها تستطيع تقديم حكايات تتوازن فيها القوى، وتستطيع أن تجمعهم رغم خلافاتهم من أجل إحلال السلام الذي يعني كل السوريين على السواء، وحينها ستكون الدراما قد عالجت الحرب بشكل صحيح وساهمت في إرساء قواعد للتفاهم الإنساني بين الأطراف المتصارعة، وحينها ستكون الدراما السورية فناً راقياً ذا أهداف إنسانية.

من يستجمن هذا الكلام أو يستنكر فحواه فليذهب ويشاهد معظم الأعمال الأجنبية التي عالجت الحروب في مختلف أرجاء العالم وليدقق كيف أنها لم تقف مع طرف ضد آخر إلى الأقصى، وكيف أنها جمعت الأضداد وساهمت في إحلال السلام، وجذبت جمهور الطرفين المتصارعين في أي حرب عالجتها.

من مسلسل «بانتظار الياسمين»

من مسلسل «سنعود بعد قليل»



### فن التجهيز.. ملعب واسع للأفكار والموضوعات!

# د. بثينة علي لـ«الوطن» ترمز إلى مدينة دمشق وللسلام والمحبة

## مصطفى علي: أحد اتجاهات فنون ما بعد الحداثة التي ربطت الفن بالمجتمع

سارة سلامة

تصوير: طارق السعدوني

«لو عكسنا الصورة ورأينا ما يراه الحمام فهل ستسمع هذه الضوضاء، هل سترى الخراب، أنه ألم وألم ومعاناة، نظرت مرة أخرى ماذا رأيت؟

بصري ضعيف.. لا أستطيع أن أرى سوى المعاناة..

الحمام يحوم ويحوم.. هل ستأتي علامة السلام إلى هذه المدينة الرمادية التي تفوح منها رائحة الألم؟»..

هذا ما كتبه أحد منفذي مشروع «كان يا مكان شباك»، يعلق هذه كلوحة، تزين جداراً في باب شرقي، وينتظرنا في ما بعد أسراب الحمام التي تحكي عن قصة قديمة تعود إلى ١٢ عاماً حضرتها الدكتورة في كلية الفنون الجميلة بثينة علي لتتدلع الحرب وتبقى الحمامات بانتظار من يطلق أسرها.. أما اليوم فتختار طلاباً من كلية الفنون ليعبروا كل بأسلوبه عن حالة طائر الحمام مع اختلاف الوقت والظروف التي تمر بها البلاد..

وعند اقترابنا من حارة المشربية شهدنا ولادة ظاهرة استثنائية أظهرت تناغماً مدهشاً بين الفن والمكان، شارك ١٥ فناناً شاباً حكاياتهم بأعمال فنية حية فريدة بالفراغ «كان يا مكان.. شباك» الذي أطلقت فكرته الدكتورة بثينة علي أستاذة الرسم والتصوير في جامعة دمشق في غاليري سامر قزح والأحياء المحيطة به.

وقالت المشرفة على العمل الدكتورة بثينة علي عن فكرتها بفن التجهيز في الفراغ التي تعمل عليها منذ عشرين عاماً وسعت لأن تنقلها للفنانين الشباب حتى يقدموا أعمالهم في هذا المجال للمرة الأولى لافتة إلى أنها سعت إلى أن تنفذ هذا المشروع في منطقة جسر السيد الرئيس قبل ١٢ عاماً ولكن الحرب الإرهابية على سورية عطلت حلمها لتضع مكوناته في مستودع صغير قبل أن يبعث حياً بفضل همة واندفاع فنانين شباب يشبهون سورية في قيامتها.

وعن اختيار الحمامة في المعرض كشفت علي أنها استخدمتها، لأن هذا الطائر يرمز لمدينة دمشق وللسلام والمحبة لتقدم من خلاله رسالة للعالم من شباب عاشوا آلام الحرب ويريدون أن تعود بلادهم للحب والنقاء.

### متطوعون على اللوحة

وبين الفنان مصطفى علي أن: «هذا الفن قائم على موضوع متطور عن اللوحة العادية، والتجهيز في الفراغ هو أحد اتجاهات فنون ما بعد الحداثة التي اهتمت بمشاركة الجمهور وربط الفن بالمجتمع، وهو لغة جديدة ابتكرها عدد من الفنانين المعاصرين ساعين إلى تشكيل نوع من التواصل بينهم وبين الجمهور من خلال الاشتغال على مفهوم «العرض» وكيفية تنظيم وتنسيق عناصر العمل الفني في «فراغ حقيقي» سواء كان داخلياً أم خارجياً، وهو نوع من النشاط العقلي يقوم به الفنان لممارسة هذا الشكل الحديث من الفن. وأعتقد أن هذا المعرض يتناسب مع العروض العالمية في تقنيته، وهو مشروع أجل كثيراً بسبب الحرب، واليوم يبصر النور بجهود الطلاب الشباب».

### الطلاب المشاركون

وحمل مشروع دانا سلامة خريجة كلية الفنون الجميلة عنوان «من أنا» والذي تقوم فكرته على الاختلاف والتضاد في مكونات الحياة مستخدمة أشكالاً لطائري الحمام والغراب ليصل فكرة أن الأفراد المختلفين بأفكارهم يتبذهم وسطهم المحيط. وجسدت لباس الملا طالبة في كلية الفنون الجميلة فكرة مشروعها من خلال البيت وصراعات، فشكلت ردة الفعل هذه مدخلاً تعبيرياً جديداً، اعتمدت لغته على الحركة والإيقاع والشكل والزمان والمكان والأداء، وابتكار وسائل حديثة من خلال دمج وسائط متعددة، سابقة الصنع أو مصممة بشكلٍ مقصود من الفنان بأسلوب أنها استخدمت في مشروعها «عجز» المكان كعنصر أساسي أما الحمام فمثل واقعاً يحيطه الخوف والألم والتعب.

وحمل مشروع آلاء حبوس طالبة الماجستير في التصوير الزيتي عنوان «حلم» بتجهيز صوتي متقن مجسدة حمامة بيضاء تطير في السماء وتحمل السلام ولكنها تتحول إلى حطام في محاكاة للأثر السلبي لسنوات الحرب العشر في نفوسنا ولاسيما أصوات الرصاص والقذائف.

### إضاءة على هذا الفن

ظهر هذا الفن بمنزلة ردة فعل على التشيّع الذي وصلت إليه الفنون البصرية من الأساليب التقليدية، والتي استمرت طويلاً، مع ما رافقها من حروب وثورات وصراعات، فشكلت ردة الفعل هذه مدخلاً تعبيرياً جديداً، اعتمدت لغته على الحركة والإيقاع والشكل والزمان والمكان والأداء، وابتكار وسائل حديثة من خلال دمج وسائط متعددة، سابقة الصنع أو مصممة بشكلٍ مقصود من الفنان بأسلوب مفهومي خاص.

خرج فنان التجهيز من إطار اللوحة ليعبّر بشكلٍ معاصر، وبأسلوب جديد عن أفكاره المبتكرة، فجعل من الفراغ ملعباً فسيحاً لأفكاره، وهذا يتطلب من الفنان ثقافة فنية وفكرية، وخيالاً علمياً وإبداعياً للوصول إلى عمل تجهيزي والقدرة على إيصال مضمونه ومفاهيمه للمتلقي.

كما باتت الفكرة هي الأصل، والعمل الفني هو تجسيد مادي لها، فالفكرة هي الركيزة والمرجع ولولاها لما كان العمل الفني، على الرغم مما يحققه من تجهيز وتركيب ومواد تتلاءم مع الفكرة المركزية، حيث سجّل فن التجهيز في كل الحالات مصالحة علنية، مع الروح والشعور الإنساني، بالتوحد مع التقنيات المبرمجة لحياتنا المعاصرة. ومما يدل على رسوخ فن التجهيز، هو الإعلان عن عدم القدرة على القيام بمسح شامل لهذا المجال الفني، لاستحالة ذلك، بسبب اتساع ممارسته. فالكثير من المجموعات الفنية انخرطت في سياقات جديدة فبات العمل الفني مفتوحاً.

## برجك اليوم 4/4

نجلاء قباني

**الحمل**

أتمنى أن تعيد بناء الثقة بينك وبين محيطك سواء أكان عملياً أم شخصياً وانتبه من احتيال أو سرقة قد تتعرض لها فأمورك المالية ليست على ما يرام.

عاطفياً: تستعد ذهنياً لتدخل مرحلة جديدة بعيداً عن أي صعوبات أو مشكلات كانت قائمة.

**الثور**

الكواكب تهدي إليك أسبوعاً مليئاً بالوعود وإذا أردت إيجابيات فالأفضل لأنك تفرح للتأثيرات الإيجابية وتلمس ارتياحاً ودعماً من الخارج ومن جهات تعرفها.

أمورك العاطفية غاية في الجمال، إضافة إلى مشاعرك الحارة ومحبتك للحياة.

**الجوزاء**

يبوح لك بعض الأصدقاء بحقائق تصدمك أو تربكك وتكاد لا تصدق أن من يرتكب هذه الأخطاء هم من أصدقائك فعلاً وهذا قد يشعرك بالأسى وعدم الانسجام.

عاطفياً: قد ينتابك قلق حول صحة أحد الأقارب أو الأصحاب أو تشعر بالاشتياق لأحدهم.

**السرطان**

الحقيقة أنك نجم ساطع في سماء أصدقائك ومن يحيط بك مرغوب محبوب والأمور حولك تسير سيراً حسناً وأنت ترفع رصيدك لدى المحيط والأجواء حولك مشجعة وتمتلك تفاؤلاً يسعدك ويحملك طاقة إيجابية وفرحاً.

يوم جيد عاطفياً لتصالح أو تعتذر ممن تحب أو تفكر بتجمع يسعدك مع أصدقاء أو عائلة.

**الأسد**

ربما تعرف تغيرات مفاجئة أو تغضب لسبب ما أو تشعر بحرمان أو إحباط أمام مشاكل فاحذر من قرار يثير ردة فعل مع أحد الزملاء فتجنب العنف بردة فعلك أو كلامك.

عاطفياً: لا تتسرع بأخذ أي قرار كارتباط عاطفي أو هجر للشريك لأن القلق والملل هو السبب.

**العذراء**

قد تفاوض على وضع جديد على الصعيد العملي أو المالي سيكون حجر أساس لحياة قادمة جديدة وتحاول استعادة علاقات قديمة أو يبادر الحبيب إلى اعتذارات تقبلها بعد فهم الأسباب.

عاطفياً: أنت تمتلك المحبة والحب القادرين على السير بحياتك ورغباتك إلى الأفضل.

**الميزان**

نصيحة مخلصة تسمعها من صديق أنت تحترمه فاسمع النصائح واعمل بها فاليوم يمنحك الكثير من المساعدات المالية ولا تقل أنك لا تحتاج إلى مساعدات.

عاطفياً: يتاح لك أكثر من فرصة أو ظرف لتحقيق الانتصارات والاستقرار فاليوم سعيد.

**العقرب**

ربما تعاني تأخيراً لمواعيد مهمة أو لقاءات تظنها ضرورية فاهدأ ولاحق الأشخاص حولك من دون عصبية فأنت تحتاج إلى الكثير من الشجاعة والهدوء لتخطي هذا اليوم من دون خسائر شخصية.

عاطفياً: مزاجيتك وتقلبك اليوم يجعلانك قلقاً وقد لا تعرف لهذا أسباباً وهذا يزعجك.

**القوس**

لا تعرض نجاحك للقلق بسبب عدم إنهائك للعمل في الوقت المناسب فاليوم للعمل وانتبه إلى وضعك الصحي وكن أكثر التزاماً بحمية غذائية جسدك يحتاجها.

عاطفياً: حظك يأتي من سفر وقد تزرع علاقة جيدة أو تتعرف على شخص مفيد لك مستقبلاً.

**الجدي**

أنت تصل إلى الاطمئنان وتحسن أمورك المهنية والشخصية وتحسم قضايا المعلقة وتمتلك الأمل والتأثير الكبير على المحيط وعلى أمورك العملية فاستفد منه.

عاطفياً: تواصلك مع الآخرين يدعم إنجازاتك ويفرحك فأنت تكسب أصدقاء بسهولة قصوى.

**الدلو**

قد تشعر أنك خالي الوفاض من المساعدات أو الدعم وقد يضايقك بعض النقد فاليوم فيه الكثير من الاهتزازات وخاصة في العمل والمال وهما عصب حياتك وربما ينتابك القلق على تفاصيل صغيرة.

عاطفياً: الكثير من الإشارات ستدلك على الصواب خذها على محمل الجد وفسرها بقلبك.

**الحوت**

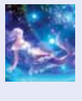

تفكر بسفر أو تجمع مرح أو دعوة لأصدقاء وتتمتع بحيوية وحماس ومحبة للعائلة ويمكنك أن تستعيد نشاطك مع أصدقائك وعائلتك، فاليوم حولك من تحب.

عاطفياً: قد تطرح اليوم عليك مشاريع خارج عملك من أصدقاء تثق بهم يتعاطفون معك